تجليات المواقف السياسية في سيرة الامام علي بن الحسين عليه السلام

الباحثة
سامرة كاظم
معهد النبأ لتعليم القرآن الكريم - بغداد
zhraa_78@yahoo.com

إن النظرة السائدة لدى اغلب الجماهير عن الامام علي بن الحسين عليه السلام هي اعتزاله الحياة السياسية بينما المتتبع لسيرته عليه السلام يجد ان الادوار النضالية بدأت مع بداية امامته عليه السلام علما ان الفهم الحقيقي لمنصب الامامة يُبرز ضرورة كون كل امام لا يخلو من مواقف سياسية خلال مرحلة امامته إذ ان الامامة هي رئاسة عامة في امور الدين والدنيا

فإذا كانت الامامة رئاسة فالإمام هو الرئيس وهو يدير امور الرعية دينيا ودنيويا وهذا الدور يستلزم ممارسة السياسة وهذا ما كان عليه الامام السجاد عليه السلام لذا سنتناول في هذا البحث المواقف السياسية في حياة الامام عليه السلام وبمختلف الظروف فتارة يبرز دوره عليه السلام سياسيا وهو اسير بيد الاعداء وتارة اخرى تبرز مواقفه النضالية في مواجهة الحكام الظالمين بمواقف صلبة رصينة.

المبحث الاول

المناخ السياسي في المراحل الاولى لإمامة الامام علي بن الحسين عليه السلام

١- الامام علي بن الحسين عليه السلام في كربلاء.

جاء في طبقات ابن سعد ان علي ابن الحسين عليه السلام اكبر ولد أبيه وكان مع أبيه بطف كربلاء وقد انهكته العلة والمرض، وروى عنه ابو مخنف انه قال: اني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري يعالج له سيفه ويصلحه وابي يقول:

يـــا دهـــر اف لـــك مـــن خلـــيل	كـــم لـــك بالإشـــراق والاصـــيل
مـــن صـــاحب وطالـــب قتيـــل	والـــدهر لا يقنـــع بالبـــديل
وكـــل حـــي ســـالك سبـــيل	مـــا اقـــرب الوعـــد مـــن الرحيـــل

فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد وقع واما عمتي زينب فأنها لما سمعت لم تملك نفسها ان وثبت تجر ذيلها حتى انتهت اليه ونادت واثكلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ماتت امي فاطمة وابي علي واخي الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين، فنظر اليها أبي وقال: يا اخيه لا يذهبن بحلمك الشيطان واوصاها بالصبر وحفظ العيال[١].

وروى حميد ابن مسلم وهو شاهد عيان بعد ظهر اليوم العاشر من المحرم اثر استشهاد الامام الحسين عليه السلام إذ قال: لقد كنت ارى المرأة من نسائه وبناته واهله تنازع ثوبها حتى تغلب عليه فيُذهب به منها ثم انتهينا إلى علي بن الحسين عليه السلام وهو منبسط على فراش وهو شديد المرض ومع شَمر جماعة من الرجّالة فقالوا له: ألا تقتل هذا العليل؟ فقلت: سبحان الله أيقتل الصبيان؟! انما هذا صبي وانه لما به فلم ازل حتى دفعتهم عنه[٢].

إن المؤكد في معظم المصادر التاريخية أو المتفق عليه فيها انه عليه السلام كان يوم كربلاء مريضا أو موعوكا وللحد الذي لا يستطيع الوقوف على قدميه أو لا تحمله قدماه كما تقول الروايات[٣].

وهناك نصوص تاريخية تدل على ان الامام السجاد عليه السلام قد قاتل يوم عاشوراء وناضل إلى ان جرح وهي:

النص الاول: ما جاء في اقدم نص مأثور عن اهل البيت عليهم السلام في ذكر اسماء من حضر مع الحسين عليه السلام وذلك في كتاب تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام من اهل بيته واخوته وشيعته الذي جمعه المحدث الزيدي الفضيل بن الزبير، الاسدي، الرسان، الكوفي، من اصحاب الامامين الباقر والصادق عليهما السلام فقد ذكر ما نصه: (وكان علي بن الحسين عليلا وارتُثَّ، يومئذ، وقد حضر بعض القتال فدفع الله عنه، اخذ مع النساء)[٤].

ومع وضوح النص في قتال الامام السجاد عليه السلام في كربلاء فأن كلمة (ارتُثَّ) تدل على ذلك لأنها تقال لمن حمل من المعركة بعد ان قاتل واثخن بالجراح فاخرج من ارض القتال وبه رمق، كما صرح به اللغويون.

النص الثاني: ما جاء في مناقب ابن شهر آشوب - بعد ذكره مشهد علي بن الحسين

المعروف بالأكبر وان الامام الحسين عليه السلام اتى به إلى باب الفسطاط، اورد هذه العبارة (فصارت امه شهربانويه ولهى تنظر اليه ولا تتكلم[٥]،

ومن المعلوم ان ام علي الشهيد هي ليلى العامرية أو بره بنت عروة الثقفي - كما يراه ابن شهر آشوب - والمعروف ان شهربانويه هي ام علي بن الحسين فلابد ان يكون قد سقط من عبارة مناقب شهر آشوب ذكر مبارزة علي بن الحسين السجاد عليه السلام وبهذا يكون شاهد على ما نحن بصدده ومن المحتمل ان تكون العبارة مقدمة على موضعها في مقتل علي الاصغر الذي ذكره ابن شهر آشوب ذكر ان ام علي السجاد هي ام علي الاصغر شهربانويه رضي الله عنها[٦].

النص الثالث: ما جاء حول مرض الامام عليه السلام ان المصادر تكاد تتفق على ان الامام السجاد عليه السلام كان يوم كربلاء مريضا أو موعوكا[٧].

إلاّ انها لم تحدد نوعية المرض ولا سببه، لكن ابن شهر آشوب روى عن احمد بن حنبل قوله: كان سبب مرض زين العابدين عليه السلام انه كان الُبس درعا ففضُل عنه فاخذ الفُضلة بيده ومزقها[٨].

وهذا يشير إلى ان الامام عُرض للمرض وهو على أُهبة الاستعداد للحرب أو على اعتابها حيث لا يلبس الدرع الا حين ذاك عادة ولا ينافي في ذلك قول ابن شهر آشوب: (ولم يقتل زين العابدين لان اباه لم يأذن له في الحرب، كان مريضا)[٩].

لان مفروض الادلة السابقة ان الامام زين العابدين قد اصيب بالمرض بعد اشتراكه اول مرة في القتال وبعد ان ارتُثَّ وجرح، فلعل عدم الاذن له في ان يقاتل كان في المرة الثانية وهو في حال المرض والجراحة[١٠].

وعلى كل حال إذا لم يتسنى له ان يبذل مهجته لجرح اصابه فأخرجه من المعركة أو مرض شديد اقعده عن المساهمة فيها فيحمل تلك المشاهد والكلمات ليصبح بعد ذلك ناطقا رسميا بما شاهد واطلع عليه ويكون المرجع الرئيس المنتدب لإتمام المهمة التي استشهد من اجلها ابوه الامام الحسين والتي لم تنتهي باستشهاده بل انها بدأت بعد ذلك مباشرة فعلا وحيث نقول ذلك ونؤكد ان مصرع الامام الحسين عليه السلام هو الحدث التاريخي الاكبر الذي

ادى إلى بلورة الاتجاه الصحيح في الإسلام وقاد ثورته التصحيحية فعلا فأن دور الامام السجاد عليه السلام يأتي الاكثر تجليا في ريادة مشروع هذه الثورة واستكمال فصولها وتجلية مفرداتها وشرح ابعادها ورسم المعالم الحقيقية للخط الإسلامي المحمدي الاصيل(١١).

٢- الامام علي بن الحسين عليه السلام في الكوفة.

إن البطولة التي ابداها الامام السجاد عليه السلام بعد كربلاء وهو في اسر الاعداء وفي الكوفة في مجلس اميرها وفي الشام في مجلس ملكها لا تقل هذه البطولة اهمية - من الناحية السياسية - عن بطولة الميادين وعلى الاقل: لا يقف تلك المواقف البطولية من هالتهُ المصارع الدامية في كربلاء أو فجعته التضحيات الجسيمة التي قدمت امامه ولا يصدر مثل تلك البطولات ممن فضل السلامة.

نعم لا يمكن ان يصدر مثل ذلك الا من صاحب قلب جسور صلب يتحمل كل الالام ويتصدى لتحقيق كل الآمال التي من اجلها حضر في ميدان كربلاء من حضر وناضل من ناضل وأستشهد من أستشهد والان يقف - ليؤدي دوراً اخر - من بقي حيا من اصحاب كربلاء ولو في الاسر!(١٢).

يقف الامام السجاد شامخا في قصر الامارة بالكوفة مع عمته زينب عليها السلام وهما يحملان بلاغة علي عليه السلام وعنفوان الحسين عليه السلام وعزة العباس عليه السلام ليقولا بكلام عربي فصيح ومواجهة كلامية حادة بينهما وبين الطاغية عبيد الله بن زياد قولاً لا يمكن ان يقوله ثائر مغلوب منكسر في مثل موقعهما وموقفهما وامام هذا الطاغية الذي مازال يقطر سيفه من دماء المجزرين في رمضاء كربلاء من اهل بيت النبوة.

يلتفت ابن زياد للسيدة زينب عليها السلام وهي جالسة حزينة منكسرة وقد صدت بوجهها عنه فيقول: (من هذه الجالسة؟) فلا تكلمه ويكرر فلا تكلمه فيعيد ثالثة وهي مصرة لا تكلمه حتى يقول بعض امائها: (هذه زينب بنت فاطمة)(١٣).

فاقبل عليها ابن زياد فقال لها الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم واكذب احدوثتكم فقالت السيدة زينب عليها السلام الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وطهرنا من الرجس تطهيرا انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا(١٤).

إن زينب عليها السلام بهذه الكلمات تحدت الطاغية ابن زياد وهزمته في عقر داره وهي اسيرة عنده.

وقال المفيد: عرض على ابن زياد علي بن الحسين عليه السلام فقال له من انت، فقال انا علي ابن الحسين، فقال: اليس قد قتل الله علي بن الحسين فقال له علي: كان لي اخ يسمى عليا قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال علي بن الحسين: الله يتوفى الانفس حين موتها، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد عليَّ اذهبوا به فأضربوا عنقه فتعلقت به زينب عمته وقالت يا بن زياد حسبك من دمائنا واعتنقته وقالت والله لا أفارقه فأن قتلته فأقتلني معه، فنظر ابن زياد اليها واليه، ثم قال عجبا للرحم والله اني لأظنها ودت اني قتلتها معه دعوه فأني اراه لما به[١٥].

وفي رواية ان علي بن الحسين عليه السلام قال لعمته اسكتي يا عمة حتى اكلمه ثم اقبل عليه فقال أبالقتل تهددني يا بن زياد اما علمت ان القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة[١٦].

ثم ان الامام علي بن الحسين عليه السلام خطب في الكوفة فقال: بعد الحمد والثناء على الله والصلاة على محمد وال محمد - ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي انا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، انا ابن من انتهكت حرمته وسلبت نعمته وانتهب ماله وسبي عياله انا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا تراث، انا ابن من قتل صبرا وكفى بذلك فخرا، ايها الناس ناشدتكم الله هل تعلمون انكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه واعطيتموه من انفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه فتبا لما قدمتم لأنفسكم وسؤة لريكم بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يقول لكم قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من امتي. قال الراوي فارتفعت الاصوات من كل ناحية يقول الناس بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون.

لقد استطاع الامام عليه السلام بكلماته ان يحدث في اهل الكوفة انقلابا في الولاء والبرأة حولهم ولو في تلك الساعة من موالين لبني امية إلى اعداء لهم، كما استطاع ان يوجههم نحو الشعور بالمسؤولية حيث نقلهم من التفكير بعالم الدنيا إلى عالم الاخرى، ورأى الامام عليه السلام ان لا يجنح لعواطفهم آنذاك بل اراد ان يزيدهم شعورا بالاثم، حيث رد عليهم بقوله: هيهات هيهات ايها الغدرة المكرة لقد حيل بينكم وبين شهوات انفسكم اتريدون ان

تأتوا اليَّ كما اتيتم إلى أبي من قبل... ثم قال لهم موجها عواطفهم واحاسيسهم تلك، ومسألتي ان تكونوا لا لنا ولا علينا رضينا منكم رأسا برأس.

لقد ترك الامام عليه السلام المجال لأهل الكوفة لتقييم انفسهم ومحاسبتها فهم بحاجة إلى دورة صقل واعادة البناء الروحي لهم(١٧).

٣- الامام علي بن الحسين عليه السلام في الشام.

في الشام حيث الدور الاعلامي اكثر تأثيرا من قعقعة السيوف وطعن الرماح، مع ما يستبطن من فضح وكشف واحتمال تصفية وقتل، يقف الامام السجاد عليه السلام في مجلس يزيد ويلتمس الاذن بالحديث فيسمح له، فينبري بعد ان يحمد الله ويثني عليه مسفها الدعاوي الاموية التي حاولت تشويه نهضة أبيه وتزييف اهداف ثورته قائلا: -

(يا معشر الناس: فمن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسي، انا ابن مكة ومنى... انا ابن محمد المصطفى... انا ابن من صلى بملائكة السماء مثنى مثنى، انا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، انا ابن علي المرتضى، انا ابن فاطمة الزهراء، انا ابن خديجة الكبرى، انا ابن المقتول ظلما، انا ابن المجزور الرأس من القفا، انا ابن العطشان حتى قضى، انا ابن صريع كربلاء، انا ابن مسلوب العمامة والرداء، انا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، انا ابن من ناحت عليه الجن في الارض والطير في الهواء، انا ابن من رأسه على السنان يهدى، انا ابن من حرمهُ من العراق إلى الشام تسبى...)(١٨).

ولم يزل يقول انا انا ويعدد على الحضور مأثر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام

وأبيه أبي عبد الله عليه السلام ويذكر ما جرى في طف كربلاء حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد ان ينتفض اهل الشام عليه فأمر المؤذن ان يؤذن ليقطع حديثه عليه السلام فلما قال المؤذن: الله اكبر، قال عليه السلام لا شيء اكبر من الله، ولما قال: اشهد ان لا اله الا الله، قال الامام عليه السلام: شهد بها لحمي ودمي وبشري وشعري، ولما قال: اشهد ان محمداً رسول الله، التفت علي ابن الحسين عليه السلام إلى يزيد ابن معاوية وقال: محمد هذا جدي ام جدك، فان زعمت انه جدك فقد كذبت وكفرت، وان زعمت انه جدي فلم قتلت عترته(١٩).

ثم اقيم للصلاة الا ان جدالاً قويا وقع في مجلس يزيد فتفرق اكثر الناس ولم يشهد

الصلاة الا عدد قليل.

لقد حطم خطاب الامام علي بن الحسين عليه السلام جزءاً كبيرا من الاعلام الاموي الذي قام على هدم كيان اهل البيت من خلال الاعلام الكاذب والمبالغ الضخمة التي صرفوها لباعة الضمير الا ان كلمات الامام عليه السلام في مجلس يزيد ابرزت الوجه الحقيقي لآل محمد صلى الله عليه وآله فقد عرف الناس من الامام عليه السلام اشياء كثيرة غير ما عرفوه من بني امية لذا ارتبك الوضع في الشام بعد خطاب الامام عليه السلام فما كان من يزيد الا ان اعلن عدم مسؤوليته لما حصل للحسين عليه السلام واهل بيته فقد قال: لعن الله ابن مرجانة اما والله لو اني صاحبه ما سألني خصلة ابدا الا اعطيتها اياه ولدفعت الحتف عنه بما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن قضى الله وما رأيت يا بني - يخاطب الامام السجاد عليه السلام - كاتبني بكل حاجة تكون لك[٢٠].

ومن خلال ما تم عرضه فمن المؤسف ان نجد في قراءات ودراسات الكثير من المؤرخين والمحللين السياسيين هو ارتباكهم وعدم دقتهم في تحديد ادوار ائمة اهل البيت عليهم السلام وتفكيك مدرستهم الفكرية والسياسية في تعاملهم مع السلطات وكذلك عدم قدرة هؤلاء المحللين على ادراك حكمة تنوع تلك الادوار وفلسفتها، وعدم استيعاب حرص الائمة عليهم السلام على الاحتفاظ بوحدة هدفهم، في المحافظة على الإسلام عقيدة وشريعة، نظرية ومنهجا وكأن المؤرخين لم ينظروا إلى ائمة اهل البيت عليهم السلام الا من زاوية واحدة أو بعد واحد فجاءت دراساتهم وتحليلاتهم عرجاء تمشي على رجل واحدة، أو عوراء تنظر بعين واحدة، وموقف الامام السجاد عليه السلام كان عرضة لهذا التحليل الشاطح فبعضهم يزعم انه اعتزل السياسة والتصدي بعد فجيعته بوالده واخوته، وغدر الغادرين من اهل زمانه فأكتفى بالتضرع والدعاء[٢١].

وبعضهم يقول انه اثر الدعة والراحة طمعاً بها بعد ان رأى ما رأى من هول المصائب التي حلت بأخوته واهل بيته في مجزرة كربلاء[٢٢].

المبحث الثاني

تصدي الامام السجاد عليه السلام لحكام عصره سياسياً

١- موقف الامام السجاد عليه السلام بعد معركة الطف:

إن الجهاد بالنفس هو افضل انواع الجهاد، وان الجود بالنفس هو اغلى غاية الجود

- كما يقولون - ولكن هذه المقولات أو هذا الفهم ربما يصير كلمة حق يراد بها باطل عند بعض الناس، فيبخس هذا البعض على غيرهم من الناس جهادهم (الاكبر) وهو جهاد النفس وليس الجهاد بالنفس - كما نص على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله - في تعريفه للجهادين الاصغر والاكبر، ويستكثرون على الذين لم يتسنى لهم خوض المعارك جهادهم هذا وصبرهم وصمودهم وثباتهم على طريق الحق ويتهمونهم انهم متخاذلون ناكصون منكفؤن، لا قدّر لهم ولا قيمة ولا خلاق، ناسين أو متناسين مثلاً ان كلمة حق امام سلطان جائر هي افضل الجهاد، وان الجهاد بالمال يتقدم في كثير من الاحيان على الجهاد بالنفس في محكم كتاب الله العزيز(٢٣).

وان مطبات الجهاد السياسي احياناً اصعب واعقد من لحظات المواجهة الساخنة الواضحة مع الاعداء وخاصة إذا كان رمز هذا النوع من الجهاد مطالباً بحقن دماء الشيعة، أو حفظ بقيتهم أو تدبير دورهم في مواجهة طاغوت لئيم، لا يعرف قلبه الرحمة ولا يهمه ان يجهز عليهم جميعاً دون ان يرف له جفن إذا ما همسوا بقول أو انبروا له بفعل أو عمل.

هذا الخانق المؤلم بين الخيارين، خيار الاستشهاد والتضحية، أو خيار الصبر والتقية، هو الذي وجد الامام السجاد عليه السلام نفسه مضطراً اليه بعد ان انجاه الله تعالى من موت اكيد مع اخوته وابناء عمومته(٢٤).

٢- الامام السجاد عليه السلام يرجع إلى المدينة:

رجع الامام السجاد عليه السلام إلى المدينة ليرى المدينة واجمة، موحشة من اهله وذويه، رجالات اهل البيت عليهم السلام والناس كذلك واجمون بعد ان رأوا ركب اهل البيت يرجع ليس فيهم الا علي بن الحسين عليه السلام وليس معه الا اطفال ونساء!! اما الرجال فقد ذبحوا على يد العصبة الاموية!؟ وإذا لم يتورع ال امية من اراقة دم الحسين سبط رسول الله هكذا وفي وضح النهار، وهو من هو، فمن سوف يأمن بغيهم وسطوتهم!؟ ان الامام السجاد عليه السلام وهو الوارث الشرعي لدماء كل المقتولين، الشهداء الذين ذبحوا في كربلاء وهو الشاهد الوحيد على كل ما جرى في تلك الواقعة الرهيبة لابد ان عين الرقابة تلاحقه وتتربص به وتنظر إلى تصرفاته بريبة واتهام والناس - على عاداتهم من الابتعاد والتخوف من مواضع التهمة ومواقع الخطر - قد تركوا علي بن الحسين عليه السلام وابتعدوا عنه حتى من كان يعلن الحب لأهل

البيت عليهم السلام قبل كربلاء لم يكن يفصح عن وده بعد كربلاء.

وقد عبر الامام السجاد عليه السلام عن ذلك بقوله: (ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا)[٢٥]

وإذا كان عدد الملتزمين بالولاء الصادق لأهل البيت في عاصمة الإسلام قليلاً إلى هذا الحد فكيف بالبلدان القاصية عن مركز وجود اهل البيت عليهم السلام[٢٦].

يقول الاستاذ السيد جعفر مرتضى العاملي: تصور بنو امية من وجهة نظرهم السياسية بأنهم قد وضعوا نقطة الختام للحياة السياسية والاجتماعية لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله حملة الإسلام الاصيل. فرغم انهم كانوا يتعاملون مع الامور بدقة سياسية وشيطنة خاصة مستغلين الضعف الروحي والعقائدي للناس وكانوا غالبا ما يخرجوا منها منتصرين، الا انهم غفلوا عن نقطة مهمة وحساسة هي وجود الامام السجاد عليه السلام فهو وان كان يبدو شابا يافعاً من ناحية السن وكان من السابق لا وانه لشاب مثله ان يخوض في النشاط السياسي ولم يكن له من الشهرة والنفوذ الاجتماعي ما يخشى منه، ولكنه من الناحية الروحية والشخصية كان ذا ابعاد سامية ورفيعة. فهو خلافاً لتوقعات المجتمع آن ذاك شرع بنشاطه السياسي - الثقافي في المدينة. وكان عليه طبعاً الشروع من نقطة الصفر بسبب وضع الشيعة في تلك البرهة الزمنية واستقطاب الناس نحو اهل البيت ذلك الينبوع الصافي الذي تنبثق عنه المعارف الإسلامية وقد نجح في مسعاه هذا ايما نجاح)[٢٧].

لقد اثبت التاريخ مدى النجاح الذي حققه الامام السجاد عليه السلام فهو قد اضفى على الشيعة حياة جديدة، وهيء مستلزمات النشاطات اللاحقة للائمة من بعده كالإمام الباقر عليه السلام والامام الصادق عليه السلام ويشهد التاريخ على ان الامام استطاع - من خلال حركته ونشاطه المتواصل لمدة ٣٤ عام - ان يجتاز بالشيعة واحدة من احلك الفترات التي مروا بها وهي الفترة التي امتازت بالقمع المتواصل للشيعة على يد الامويين والزبيريين[٢٨].

٣- الامام السجاد عليه السلام في خيمة خارج المدينة.

أول موقف سياسي حكيم كان على الامام عليه السلام ان يتخذه بعد عودته إلى المدينة، وبعد ايام من مشاعر الحداد والنحيب التي اججها في نفوس اهلها، والتي قدر عليه السلام انها لم تتعد ان تكون حالات عاطفية صادقة تفجرت بسبب شعورهم بالإثم جراء عدم خروجهم مع

الحسين عليه السلام ونصرته اولاً، وفجيعتهم بمصرع ابن بنت نبيهم ثانياً، هو ان ينأى بعيداً عن الناس الذين ادرك ضعفهم وخوائهم في لحظات المواجهة الساخنة مع الاعداء، فأتخذ خيمة في البادية واستظل ببيت الشعر في فيافيها، مع مجموعة من عياله واهل بيته وخُلَص الشيعة نعم اتخذ الامام السجاد عليه السلام هذا الموقف ليعمق الشعور بالذنب لدى اهل المدينة الذين خذلوا اباه، واكتفوا بالبكاء أو التباكي معه حين عودته اولا ولكي يتحاشى الاصطدام بالحكام الامويين الذين سيستهدفونه حتماً إذا احسوا منه اي بادرة أو همسة للتحريض ضد حكمهم ثانياً(٢٩).

أنه تصرف غريب في طول تاريخ الامامة لم نجد له مثيلا لكنه - كما تكشف عنه الاحداث المتتالية - عمل عظيم ينم عن حنكه سياسية وتدبير دقيق للإمام عليه السلام فإذا كان الامام عليه السلام خارج المدينة وكان ينزل البادية فأن الدولة لا تتمكن من اتهامه بشيء يحدث في المدينة ويكون من العبث ملاحقته وملاحظته في محل مكشوف مثل البادية! وقد اعلن الامام عليه السلام عن هذه السياسة في اول لقاء له مع مجموعة من شيعته ومواليه في الكوفة عندما عرضوا عليه ولائهم وقالوا له بأجمعهم: نحن كلنا يين رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك، رحمك الله، فأنا حرب لحربك لنأخذن ترَتك وترَتنا ممن ظلمك وظلمنا. فقال عليه السلام: هيهات... ومسألتي ان لا تكونوا لنا ولا علينا(٣٠).

إن الامام اخذ عليهم سائلا ان يأخذوا في تلك الفترة جانب الحياد اتجاه اهل البيت عليهم السلام لا لهم ولا عليهم إذ لو رأت السلطة ادنى تجمع حول الامام عليه السلام لاتخذت ذلك مبرراً لها ان تستأصل وجوده ومن معه فأن من الهين عليها قتل علي بن الحسين عليه السلام وهو ضعيف بعد ان قتلت الحسين عليه السلام وهو اقوى موقعاً في الامة!(٣١).

وحين احس الامويون بتململ اهل المدينة، جاءت واقعة الحرة المعروفة التي استباح فيها مسلم بن عقبة هذه المدينة واباح فيها القتل والسبي والاعتداء الوحشي ويؤكد الشيخ المفيد في ارشاده ان مسرف بن عقبة هذا كان في بدايته لا يريد الا قتل علي بن الحسين عليه السلام وحين لم يجد لقتله حجة اكتفى بأن اباح المدينة ثلاثة ايام بأمر يزيد ولم يجد هذا (المسرف) سبباً للإجهاز على الامام عليه السلام واهل بيته بل صار الامام ملاذاً لمن التحق به من المؤمنين هرباً من اسراف الجيش الاموي ووحشيته وكان ممن لاذ به من الامويين عائلة مروان ابن الحكم

وزوجته عائشة بنت عثمان بن عفان واكثر من اربعمائة منافية(من ال عبد مناف) كان عليه السلام يعولهن إلى ان تفرق الجيش(٣٢).

٤- الامام السجاد عليه السلام يجابه الطواغيت.

كانت علاقة مروان ابن الحكم الأموي بالخصوص طيبة مع الامام السجاد عليه السلام لما ابداه الامام تجاهه من رعاية ايام وقعت الحرة وكان مروان شاكراً للإمام هذه المكرمة.

وطبيعي ان يعرف عبد الملك بن مروان، للإمام زين العابدين عليه السلام هذه اليد والمكرمة لذلك نراه لما ولي الخلافة يكتب إلى واليه على المدينة الحجاج الثقفي السفاك يقول(٣٣).

حدثنا عمران بن موسى حدثني ابو الحسن موسى بن جعفر، عن علي بن معبد، عن علي بن الحسين، عن علي بن عبد العزيز، عن أبيه قال أبو عبد الله لما ولي عبد الملك بن مروان واستقامت له الاشياء كتب إلى الحجاج كتاباً وخطه بيده، بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف اما بعد فجنبني دماء بني عبد المطلب، فأني رأيت ال أبي سفيان لما ولعوا فيها لم يلبثوا بعدها الا قليلاً والسلام وكتب الكتاب سراً لم يعلم به احد وبعث به مع البريد إلى الحجاج وورد خبر ذلك عليه من ساعته، عن علي بن الحسين عليه السلام واخبر ان عبد الملك قد زيد في ملكه برهة من دهره لكفه عن بني هاشم وامر ان يكتب ذلك إلى عبد الملك ويخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وآله اتاه في منامه واخبره بذلك فكتب علي بن الحسين عليه السلام بذلك إلى عبد الملك بن مروان(٣٤)، وفي رواية اخرى ان الامام السجاد عليه السلام،كتب اليه علمت ما كتبت في حقن دماء بني هاشم وقد شكر الله لك ذلك وثبت ملكك وزاد في عمرك وبعث به مع غلام له بتاريخ تلك الساعة التي اتخذ الكتاب عبد الملك إلى الحجاج بذلك فلما قدم الغلام وسلم اليه الكتاب نظر عبد الملك في تاريخ الكتاب فوجده موافقاً لتأريخ كتابه فلم يشك في صدق الامام زين العابدين عليه السلام(٣٥).

إن اسلوب هذا الكتاب، ومحتواه كلاهما مثار للاستفزاز

فأولاً: يحاول الامام عليه السلام ان يعُرف الحاكم بأطلاعه الكامل على تاريخ كتابة الرسالة بدقة، حتى اليوم والساعة، فهو يوحي اليه علم الامام بما يجري داخل القصر الملكي وهذا امر لا يمر به الطواغيت بسهولة.

وثانياً: يصرح الامام عليه السلام باتصاله المباشر بالرسول صلى الله عليه وآله وانه الذي اخبره وأنبأه بالرسالة ومحتواها وهذا ايضاً يوحي ان الامام عليه السلام مع انه مرتبط بالرسول نسبياً، فهو مرتبط به روحياً ويأخذ علمه ومعارفه منه مباشرة!

ومثل هذا الادعاء لا يتحمله الخليفة، بل يثقل عليه، لان ادعاء ذلك يعني كون الامام عليه السلام اوثق صلة بالرسول صلى الله عليه وآله من هذا الذي يدعي خلافته! والمقطع الاخير من الكتاب حيث يخبر الامام عليه السلام عن ان فعل عبد الملك وتوصيته بآل عبد المطلب - مشكور عند الله - وانه يثبت بذلك ملكه، وزيد فيه برهة، ليس قطعاً اسلوب دعاء وثناء وتملق وانما هو تعبير عن قبول الصنيع، ورد الجميل والعطف عليه بزيادة بُرهة - فقط - في الملك! لا الخلافة.

مع ان صدور مثل هذا الخبر من الامام عليه السلام إلى عبد الملك الخليفة فيه نوع من التعالي والفوقية الملموسة التي لا يصبر عليها من هو في موقع القدرة فضلاً عن الطغاة امثال عبد الملك(٣٦).

قد جاء في ذيل ذلك الحديث ان عبد الملك لما نظر في تاريخ الكتاب وجده موافقاً لتلك الساعة التي كتب فيها الرسالة إلى الحجاج فلم يشك في صدق علي بن الحسين عليه السلام، فرح فرحاً شديداً! وبعث إلى علي بن الحسين عليه السلام وَفرْ راحلته دراهم وثياب لما سره من الكتاب(٣٧).

ويروي بعض الرواة انه بلغ عبد الملك ان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عند الامام زين العابدين عليه السلام، فبعث يستوهبه، ويسأله الحاجة فأمتنع الامام من اجابته، فكتب اليه عبد الملك يتهدده ويتوعده بقطع رزقه من بيت المال فأجابه الامام عليه السلام: (اما بعد فأن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الحج (الآية ٣٨)، فأنظر اينا اولى بهذه الآية، والسلام(٣٨).

ويبدو ان عبد الملك رآى ان الامام عليه السلام بمواقفه الاستفزازية تلك يبرز في مقام أبيه وجده ويتزعم الحركة الشيعية وقد ركز موقعيته كإمام بعد تلك الجهود المضنية واستعاد جميع القوى المؤمنة حوله فأصبح له من القوة والقدرة، ان يقف في وجه الخليفة، فلذلك تصدى للإمام عليه السلام وحاول ان يفرغ يد الامام عليه السلام من بعض اثباتات الامامة كوجود مخلفات النبوة عند الامام ومنها سيف رسول الله صلى الله عليه وآله.

إن طلب عبد الملك للسيف من الامام عليه السلام بهذه الشدة إلى حد التهديد ليس ناشأ من مجرد الرغبة، والا فعبد الملك هو ذا معرض عن الاحتفاء بأقدس الاشياء المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله واعز من سيف الرسول، وها هم يعرضون من قبله بالتهديد بقطع الرزق(٣٩).

قال الراوندي: انه عليه السلام حج في السنة التي حج فيها هشام بن عبد الملك وهو خليفة فأستجهر الناس منه عليه السلام وقالوا لهشام من هذا فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه فقال الفرزدق وكان حاضراً بل انا والله اعرفه:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

انشد القصيدة إلى اخرها فأخذه هشام وحبسه ومحى اسمه من الديوان فبعث اليه علي بن الحسين عليه السلام بصلة بدنانير فردها وقال ما قلت ذلك الا ديانة فبعث بها اليه ايضاً وقال قد شكر الله لك ذلك فلما طال الحبس عليه وقد توعد بالقتل فشكى إلى الامام عليه السلام فدعى له فخلصه الله فجاء اليه وقال يا بن رسول الله انه محى اسمي من الديوان فقال له كم عطائك قال كذا فأعطاه لأربعين سنة وقال عليه السلام لو علمت انك تحتاج إلى اكثر من هذا لأعطيتك فمات الفرزدق لما انتهت الاربعين سنة(٤٠).

إن الموقف لم يكن بحيث يخفى شيء من ابعاده على الامام عليه السلام ولم يكن هو عليه السلام بحيث يقوم بما قام متجاهلاً عواقبه واثاره، فلابد لمن يحضر المطاف ان ينتبه لحضور مثل هشام على المنبر وحوله الجلاوزة من اهل الشام لكن الامام زين العابدين عليه السلام تجاهل وجود هشام، قاصداً إلى عواقب اقدامه الجريء ذلك فهو يسير في اكمال اشواط الطواف متزيناً بزي الانبياء والناس يتنسمون منه ريح النبوة وعبق الرسالة وهذا واحد من اثار نضال السنوات الطويلة العجاف الشداد، التي كابد فيها الامام انواع الصعاب ليفتح امام الناس طريق معرفة الامام والوصول إلى الامامة بينما كانت الخلافة في غفلة عن هذا كله، ومنهمكة في عتوها وظلمها ولهوها وبذخها وترفها وطغيانها بعيداً عن الناس.

والناس اولئك يتجاهلوا ابن الخليفة ولم يأبهوا به ولم يفتحوا له طريقاً إلى لمس الحجر الاسود، ها هم يقفون سماطين، هيبة للإمام زين العابدين عليه السلام يفرجون له عن الحجر ليستلمه!

ومثل هذا العمل يخدش غرور هشام الذي يمثل الخلافة ويغيض المنتمين إلى الدولة

ولذلك تجاهل هشام شخص الامام عليه السلام ومما يدل على حدة تأثير الموقف فيهم رواية المدائني عن كيسان عن الهيثم ان عبد الملك قال للفرزدق: اوَ رافضي انت يا فرزدق؟ فقال: ان كان حب اهل البيت رفضاً فنعم(٤١).

والشاعر الشعبي الفرزدق الذي يعيش بين العامة أستصعب ذلك التجاهل وانبرى بأنشاد الميمية العصماء التي طار صيتها مع الحجاج عندما عادوا إلى مختلف البقاع. ان اي حكم سياسي لا يتحمل مثل هذه المواقف التي تحط من كرامة رجال الدولة وخاصة رجال البلاط وبهذه الصورة(٤٢).

وينقل ايضاً انغمس الامويون بالنعم والترف، فكان فتيانهم يرفلون في القوهي - الثوب من الغز الفاخر- والعرش كأنهم الدنانير الهرقلية وكان عمر بن عبد العزيز يلبس الثوب بأربعمائة دينار ويقول: ما اخشنه وروى هارون بن صالح عن أبيه قال: (كنا نعطي الغسال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في اثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطيب - يعني المسك - الذي فيها)(٤٣).

ولما كان يتمتع به من ذكاء وتدبير كان يراقب اعمال الامام زين العابدين عليه السلام فيجد انه قد هيأ بجهاده وصبره الارضية الصالحة لانقلاب اجتماعي جذري على الحكم الاموي المرواني.

وكان الامام يتوسم في عمر بن عبد العزيز التطلع إلى الخلافة(٤٤).

عن عبد الله بن عطاء التميمي قال: كنت مع علي بن الحسين عليه السلام وفي المسجد عمر بن عبد العزيز وعليه نعلان شراكها فضة وكان من امجن الناس وهو شاب فنظر الية علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا عبد الله بن عطاء أترى هذا المترف انه لن يموت حتى يلي الناس، قلت: انا لله هذا الفاسق، قال: نعم لا يلبث عليهم الا يسيراً حتى يموت، فإذا هو مات لعنه اهل السماء واستغفر له اهل الارض(٤٥).

ففي هذا الحديث يشاهد توسم الامام في عمر انه يتطلع إلى الحكم والولاية رغم بعده عنها وانشغاله في المدينة بما لا يمت إلى ذلك واعلانه عن هذا التوسم يدل بوضوح على ان الامام كان يفكر في شؤون الحكومة لا حاضرها بل ومستقبلها، وانه كان مفتوحاً امامه بوضوح وان الامام كان يعرف من ذكاء عمر ودهائه انه سوف ينافق في ولايته بما ينطلي

على الناس انه صالح (وعادل) في الحكم بينما هو قد احتال في ضرب الحق وتثبيت الباطل مدة اطول، وقد كان من شأن الدولة الاموية ان تزول قبل ذلك لولا تصرفاته المريبة! حيث ان اثار جهود الامام زين العابدين عليه السلام ونضاله ضد الطاغوت الاموي كانت قد بدت ظاهرة، فكان الجو السياسي - على اثر انتشار الوعي - مشرفاً على الانفتاح بحيث لم يطق التعنت الاموي على الاستمرار في عتوه واعلان فساده وانتهاكه للحرمات كسب الامام علي امير المؤمنين عليه السلام على المنابر على رؤوس الاشهاد وصد الامة عن المعارف الثقافية الإسلامية الصحيحة بمنع الحديث والسنة والادهى من كل ذلك استمرار الضغط على كبار المسلمين وسادتهم كعلماء اهل البيت عليهم السلام بالتقتيل والتشريد والسجن وكعلماء الصحابة ومؤمنيهم بالاهانة والمطاردة والقتل فكان عمر بن عبد العزيز وهو الذي راقب الاوضاع عن كثب يعرف كل هذه المفارقات في حكم ابائه وسلفه فلما استولى على كرسي الخلافة بدأ بتبديل تلك السياسة الخاطئة فعمد إلى رفع ذلك السب عن الامام امير المؤمنين عليه السلام، وقد كان عمر نفسه ممن يلعن علياً قبل تولية السلطة ثم رفع المنع عن نشر الحديث والسنة، ان عمر بادر إلى هذه الاعمال وامثالها لتلافي امر انهدام الدولة الاموية وقبل ان ينسحب البساط من تحته وتحت قبيلته.

واخطر ما في عمله انه اخر نتائج الجهود الجبارة التي قام بها الامام السجاد عليه السلام إلى فترة ابعد لما فتحه امام الناس من نوافذ للأمل بالإصلاح فتقاعسوا عن متابعة الاهداف التي خطط لها الامام عليه السلام، بينما هو لو كان يريد الخير للامة لرد الامر إلى اهله.

ومهما يكن فأن تعرض الامام عليه السلام لعمر بن عبد العزيز في ذلك الوقت يدل على نوع من الاقتحام السياسي وهو موقف خطر يقفه الامام عليه السلام لكنه كان يقطف ثمار خطته السياسية فلا يبالي بما سيقع عليه جراء هذا الاعلان(٤٦).

المبحث الثالث

توظيف الدعاء سياسيا عند الامام السجاد عليه السلام

١ـ المفاهيم السياسية في أدعية الامام السجاد عليه السلام.

فسر بعض المؤرخين ظاهرة الدعاء عند الامام السجاد عليه السلام بكونها حالة من الاعتزال

والانكسار النفسي الذي يحل عادة بالمصدومين والمفجوعين بسبب هول الصدمة أو الفجيعة التي مروا بها أو مرت بهم، ويفسر اخرون بأنها نوع من العزاء والسلوى والتصوف حيث ينكفئ اصحابها على انفسهم في طقوس خاصة وانزواء واعتكاف لا علاقة له بالناس والمجتمع وهمومهم والامهم وبين هذين التفسيرين المتيسرين الذين يمران على الامور بظواهرها ولا يغوصان في اعماقها يأتي تفسير مبتور ثالث يؤكد ان دعاء الامام وعبادته لم يكونا يتعديان مناقبية مثالية علوية وفضيلة وكرامة من فضائل وكرامات اهل البيت الطاهر وحيث ينظر إلى المنقبة والكرامة على انها اسمى ما يمكن ان يوصف بها الانسان المغير في زمن التداعيات السياسية والصراع الفكري والحضاري ولئن كان في هذا التفسير بعض حق ولكنه ليس الحق كله لاسيما وان ما ينتظر من امثال الامام السجاد عليه السلام هو اكبر من المناقبية والفضيلة والكرامة وانما العمل والجهاد لمواصلة مشروع تغييري(٤٧).

وعندما اصيب المجتمع الإسلامي بالانحراف وغلب عليه حب الرفاه والميل إلى الدنيا وطغت عليه مظاهر الفساد السياسي والاخلاقي والاجتماعي واستولت عليه حالة من الكبت وسرت في اوصاله سريان السرطان فلم يبقى للمجتمع منفذاً للتنفس، استفاد الامام السجاد عليه السلام من الدعاء لطرح بعض المعتقدات والمباني الثقافية الإسلامية فأوجد لدى الناس مرة اخرى اندفاعاً وحركة نحو العبادة والتوجه إلى الله ومع ان الهدف الرئيس من تلك الادعية هو العبادة الا ان المتمعن في العبارات الواردة بين طياتها يمكن ان تدلنا على المفاهيم السياسية التي يقصدها الامام عليه السلام(٤٨).

٢ـ التصدي لعقيدة التشبيه والتجسيم.

تجرأ اعداء الإسلام - بعد سيطرتهم على الحكم - على المساس بأساس العقيدة الإسلامية وهو التوحيد الالهي وذلك بإدخال شبهة التجسيم والتشبيه في اذهان العامة لإبعادهم عن الحق وجرهم إلى صنمية الجاهلية ولقد استغل الاعداء جهل الناس وبعدهم عن المعارف حتى اللغة العربية! فموهوا عليهم النصوص المحتوية على الفاظ الاعضاء كاليد والعين مضافة في ظاهرها إلى الله تعالى وتفسيرها بمعانيها المعروفة عند البشر بينما هي مجازات مألوفة عند فصحاء العرب في شعرهم ونثرهم يعبرون باليد عن القوة والقدرة وبالعين عن البصيرة والتدبير وهكذا.

وفي عهد الامام السجاد عليه السلام وبعد ان استشرى الوباء الاموي بالسيطرة التامة كان امر هولاء الملحدين قد استفحل وتجاسر على الاعلان عن هذه الافكار بكل وقاحة في المجالس العامة حتى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فكانت مهمة الامام السجاد عليه السلام حساسة جداً لكونه ممثلاً لأهل البيت

بل الرجل الوحيد ذا الارتباط الوثيق بمصادر المعرفة الإسلامية، ومع ما كان عليه السلام من قلة الناصر فقد وقف امام هذا التيار الالحادي الهدام واقام بأدلته وبياناته سداً منيعاً في وجه إحياء الوثنية من جديد(٤٩).

قال المفيد: جاءت الرواية ان علي بن الحسين عليه السلام كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقه ففزع لذلك وارتاع له ونهض حتى اتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف عنده ورفع صوته يناجي ربه فقال في مناجاته له: (الهي بدت قدرتك ولم تبدُ هيئة جلالك فجهلوك وقدروك بالتقدير على غير ما انت به، شبهوك وانا بريء يا الهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس لمثلك شيء الهي، ولم يدركوك، فظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك، وفي خلقك يا الهي مندوحة عن ان يناولوك بل سووك بخلقك فمن ثم لم يعرفوك، واتخذوا بعض آياتك ربا فبذلك وصفوك، فتعاليت يا الهي عما به المتشبهون نعتوك)(٥٠).

فوجود الامام في المسجد النبوي واظهاره الفزع من ذلك التشبيه واريتاعه لذلك الكفر المعلن ونهوضه والتجائه إلى القبر الشريف ورفعه صوته بالدعاء، كل ذلك الذي جلب انتباه الراوي ولابد انه كان واضحاً للجميع اعلان منه عليه السلام للاستنكار على ذلك بالقول واولئك القوم الذين تعمدوا الحضور في المسجد والتجرؤ على اعلان ذلك الالحاد والكفر وهو تحد صارخ من الامام عليه السلام للسياسة التي انتهجتها الدولة وكانت ورائها بلا ريب والا فمن يجرؤ على اعلان هذه الفكرة المنافية للتوحيد لولا دعم الحكومة ولو بالسكوت!

إن قيام الامام السجاد عليه السلام بهذه المعارضة الصريحة وبهذا الوضوح يعطي للمواجهة بعداً اخر اكثر من مجرد البحث العلمي والنقاش العقيدي والفكري انه بعد التحدي للدولة التي كانت تروج لفكرة التجسيم والتشبيه وتفسح المجال للإعلان بها في مكان مقدس مثل الحرم النبوي الشريف في قاعدة الإسلام وعاصمته العلمية المدينة المنورة(٥١).

٣ـ الامام علي بن الحسين عليه السلام يعلن عن امامته.

كانت الامامة في نظام الدولة الإسلامية اعلى المناصب الحكومية ولذا كان الحكام يسمون انفسهم ائمة الناس وامراء للمؤمنين بلا منازع ولا يدعي احد غير الحاكم لنفسه منصب الامامة الا إذا لم يعترف بالحاكم ولا حكومته ومعنى هذا الادعاء معارضة للنظام ولمقام الخليفة نفسه، والامام السجاد عليه السلام قد اعلن عن امامة نفسه بكل وضوح وصراحة من دون اية تقية وخفاء ولعل لجوءه عليه السلام إلى هذا الاسلوب المكشوف كان من اجل ان بني امية بلغ امر فسادهم وخروجهم عن الإسلام وعدم صلاحيتهم للحكم على المسلمين وادارة البلاد فضلا عن الامامة حداً من الوضوح لم يمكن ستره على احد فكان من اللازم الاعلان عن امامة السجاد عليه السلام كي لا يبقى هذا المنصب شاغراً وان لم تكن الامامة الحقة حاكمة ظاهراً[٥٢].

وقد كان من جملة المضامين السياسية التي وردت في الصحيفة هي مسألة الامامة التي طرحت على شكل مفهوم إسلامي يشتمل بالإضافة إلى احقية واولوية اهل البيت في تولي قيادة المجتمع الإسلامي على جوانب الهية من قبيل العصمة والاستفادة من علوم الانبياء وخاصة النبي الاعظم ونورد فيما يلي مقاطع منها:

(ربِ صل على اطائب اهل بيته الذين اخترتهم لامرك وجعلتهم خزنة علمك وحفظة دينك وخلفائك في ارضك وحججك على عبادك وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيرا بإرادتك وجعلتهم الوسيلة اليك والمسلك إلى جنتك)[٥٣].

وورد في ادعية اخرى:

(اللهم ان هذا المقام لخلفائك واصفيائك ومواضع امانتك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزَين، اللهم العن اعدائهم من الاولين والاخرين ومن رضي بفعالهم واشياعهم واتباعهم)[٥٤]، (وصل اللهم على خيرتك من خلقك محمد وعترته الصفوة من بريتك الطاهرين واجعلنا لهم سامعين ومطيعين كما امرت)[٥٥]، يتضح جليا من خلال العبارات السالفة ان الامام كان يبذل جهوداً حثيثة لنشر مبدأ الاعتقاد بالإمامة بمفهومه الشيعي على اعتباره اهم مسألة في المسائل الاعتقادية الإسلامية ونظير هذا الثناء على اهل البيت يلاحظ بكثرة في نهج البلاغة ايضاً وهنا ينبغي الاشارة إلى ان احدى الوظائف العظيمة الاهمية بالنسبة للائمة الاطهار

هي تقديم انفسهم للناس بصفتهم ائمة منصبين من قبل الله[٥٦].

المبحث الرابع

الابعاد السياسية في بكاء الامام زين العابدين عليه السلام

١ـ المفهوم الحقيقي لبكاء الامام زين العابدين عليه السلام.

بين البكاء والتباكي الهادفين خيط رفيع لا يمكن تجليته واكتناه فلسفته الا بفهم الهدف من البكاء اولاً، والتباكي ثانياً. فإذا كان الهدف من البكاء هو تربية النفوس وتجلية الصدأ الذي يرين عليها جراء زحمة الحياة وقساوة العيش ومن ثم توجيه البكاء اعلامياً للتأثير على الناس كشكل من اشكال العمل السياسي أو الرسالي الهادف النبيل يأتي هنا ممدوحاً ومندوباً وهو غير الجزع والضعف والنفاق والرياء الذي له اهداف هابطة اخرى. اي انه في الدائرة الاولى عاطفة نبيلة يمكن ان تنتزع من الانسان دواعي قسوة القلب وغلظته وشدته وتحيله اكثر شفافية وسماحة ورقة من جهة، وهو عمل تربوي لتوجيه النفوس وتربيتها وتهذيب مشاعرها واحاسيسها من جهة اخرى، وهكذا التباكي هو الاخر اما ان يكون تمثيلا اجوف لأهدف وراءه ولا جدوى منه ولا طائل واما ان يكون مواساة للباكي في صدق بكائه وتصديق انفعاله وتفاعله مع حدث ما أو مصيبة ما أو يكون مشاركة انسانية ووجدانية تواسي المبكي عليه في عظمة تضحيته ونبل اقدامه وهيبة موقفه، وبالتالي فأن الدائرة الاولى غير الثانية بالتأكيد[٥٧].

والبَكاء لقب عرف به سيدنا ومولانا علي بن الحسين عليه السلام والبَكائين خمسة آدم عليه السلام ويعقوب عليه السلام ويوسف الصديق عليه السلام وفاطمة عليها السلام وعلي بن الحسين عليه السلام.

وعلي بن الحسين عليه السلام حق على كل من يقول: لا اله الا الله متيقناً بها قلبه ان يبكي لأجلها لأنه بكى على مصيبة كربلاء التي حلت بأبيه سبط الرسول صلى الله عليه وآله أبي عبد الله الحسين عليه السلام حيث قتل اهله واحبابه بأبشع طريقة واغرب اسلوب عرفه تاريخ البشر[٥٨].

فكان صلوات الله عليه بإدامته البكاء على أبيه يؤجج في الافئدة ناراً لما ارتكبه أولئك الطغاة من الجرائم والمآثم يأبى الحنان البشري ان يكون صاحبها انساناً فضلا عن ان يقود امة أو يرأس رعية وفضلا عن ان يكون خليفة في دين أو متبعاً في دنيا.

وحيث لم تسعه المجاهرة بموبقات من اغتصبهم الخلافة الالهية وجر اليهم الويلات ونكل بهم، اتخذ عليه السلام البكاء طريقاً لتنبيه الناس بتلكم الجرائم، وهذا منه اكبر جهاد ناجع في تحطيم عرش من اهلك الحرث والنسل وعاث في البلاد فساداً وخيالا، فكان بكائه متمماً للنهضة المقدسة.

وقد سبقته إلى هذا الجهاد الاكبر جدته الصديقة الزهراء عليها السلام وحاولوا اسكاتها معتذرين بأن نفوسهم لا تطيب بطعام وشراب وعزيزة الرسول صلى الله عليه وآله تنوح الليل والنهار فلم تهدأ عن البكاء، فأضطر سيد الاوصياء عليه السلام إلى اخراجها إلى البقيع بعد ان بنى لها بيتاً من جريد النخل سماه بيت الاحزان فأن الغرض تعريف الامة من كان مستحقاً للخلافة الالهية وقد اغتصبت منه.

فالبكاء يوجب الفات نظر الناس إلى الاساليب الباعثة عليه، وبهذا التفحص تتجلى لهم الحقيقة ويسطع بصيص من الق الحق المحجوب بظلم الجائرين، ولقد كان البكاء واحداً من الاساليب التي جعلها الامام السجاد عليه السلام وسيلة لإحياء ذكرى كربلاء[٥٩].

٢ـ نتائج بكاء الامام زين العابدين عليه السلام.

عن طريق البكاء المشفوع بالدعاء استطاع الامام عليه السلام ان يحقق الاغراض التالية:

١- تقريع أو استنهاض الضمير النابض في الامة والذي لم يمت بعد، اي مخاطبة الفطرة السليمة من خلال دموع ساخنة ونشيج صادق لا يمكن تفسيره ببساطة على انه مجرد عواطف ثائرة على فجيعة مرت وكارثة حلت، لاسيما وانه من امام يعرف اكثر من غيره القضاء والقدر وحتمية الموت وطوارق السنين

٢- استثمار جميع المواقف والمناسبات التي تذكر الناس بالجريمة الكبرى التي ارتكبت بحق سبط النبي صلى الله عليه وآله وسيد شباب اهل الجنة وعبر بكاء حار صادق يتفجر امام قصاب مثلا يذبح شاته فيسقيها ماء قبل ذبحها أو امام ضيف فقد عزيزاً فغسله وكفنه أو على مائدة افطار يقدم فيها الماء للعطاشى والضامئين.

٣- ايهم السلطة الحاكمة وعيونها وازلامها ومرتزقتها ان المفجوع ليس لديه الا البكاء وانه ليس عملاً جرمياً يبرر للسلطة اتخاذ اجراء قمعي لمواجهته فكيف إذا كان

المفجوع باكياً فعلاً وليس متباكياً كما هو حال الامام عليه السلام[٦٠].

الخاتمة:

من خلال دراسة وتحليل بعض المواقف في حياة الامام السجاد عليه السلام اتضح لنا جلياً النشاط السياسي الكبير الذي مارسه الامام على طول عمره الشريف بالرغم من الظروف الصعبة التي واجهته والفترة الحرجة التي مر بها خاصة بعد استشهاد أبيه الامام الحسين عليه السلام، لكن الامام عليه السلام استطاع تجاوز كل الصعوبات والتصدي لكل التيارات المنحرفة الفاسدة بحكمته وبتسديد من الباري عزّ وجل لأنه امام منصب من قبل الله تعالى ليلي امور المسلمين ويقوم بدوره في قيادة الامة إلى بر الامان ووضعها على المحجة البيضاء

ونحن نتمنى ان نكون اوصلنا فكرة مغايرة لما رسخ في اذهان البعض عن انعزال الامام السجاد عليه السلام وعدم ممارسته للدور السياسي من خلال ما طرحناه وبيناه من مواقف للإمام عليه السلام على مختلف الاصعدة.

هوامش البحث

(١) سيرة الائمة الاثني عشر - القسم الثاني - هاشم معروف الحسني - ص ١١٩-١٢٠
(٢) اعلام الهداية - الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ص ٥٥-٥٦
(٣) الارشاد للمفيد: ٢٣١
(٤) تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام - مجلة تراثنا- العدد الثاني- ص ١٥٠
(٥) مناقب ال أبي طالب - طبع دار الاضواء ٤-١١٨
(٦) جهاد الامام السجاد - السيد محمد رضا الحسيني الجلالي - ص ٤٢-٤٤
(٧) الارشاد للمفيد - ص ٢٣١، شرح الاخبار ٣:٢٥٠
(٨) نقله ابن شهر آشوب عن كتاب (المقتل) في مناقب ال أبي طالب ٣-٢٨٤
(٩) مناقب ابن شهر آشوب ٤-١٢٢
(١٠) جهاد الامام السجاد عليه السلام - السيد محمد رضا الحسيني الجلالي- ص٤٢ -٤٤
(١١) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص١٩-٢٠

(١٢) جهاد الامام السجاد - السيد محمد رضا الحسيني الجلالي - ص٤٨
(١٣) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص١٩ - ٢٠
(١٤) لواعج الاشجان في مقتل الحسين عليه السلام - السيد محسن الامين الحسيني العاملي ص١٨٤.
(١٥) مسند الامام السجاد عليه السلام - الشيخ عزيز الله العطاردي - الجزء الاول - ص١١٦
(١٦) لواعج الاشجان في مقتل الحسين عليه السلام - السيد محسن الامين الحسيني العاملي ص١٨٥.
(١٧) عوامل خلود الثورة الحسينية - الخطيب الشيخ محمد الهنداوي - ص ٧١ - ٧٢
(١٨) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص ٢١ - ٢٢
(١٩) سيرة الائمة الاثني عشر - هاشم معروف الحسني - القسم الثاني - ص ١٢٤
(٢٠) حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام - باقر شريف القرشي - ج ٣ - ص ٤١٣
(٢١) جهاد الشيعة - الدكتورة سميرة الليثي - ص ٢٩
(٢٢) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص ٢٩ - ٣١
(٢٣) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾ سورة التوبة (٢٠) ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ سورة التوبة (٨٨)
(٢٤) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص١٠٣ - ١٠٤
(٢٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد(١٤٠:٤) ولاحظ الغارات للثقفي ص- ٥٧٣
(٢٦) جهاد الامام السجاد - السيد محمد رضا الحسيني الجلالي - ص٥٩.
(٢٧) دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام - ج ١ - ص٦٠
(٢٨) الحياة الفكرية والسياسية لائمة اهل البيت عليهم السلام - رسول جعفريان - المجلد الاول - ص١٨١
(٢٩) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص١٠٥ - ١٠٦
(٣٠) الاحتجاج للطبرسي (ص٣٠٦) وانظر اللهوف لابن طاووس (ص٦ - ٦٧)
(٣١) جهاد الامام السجاد - السيد محمد رضا الحسيني الجلالي - ص٦١
(٣٢) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص١٠٦ -١٠٧
(٣٣) جهاد الامام السجاد زين العابدين عليه السلام - للسيد محمد رضا الجلالي- ص٢٠٧.
(٣٤) بصائر الدرجات: ٣٩٦.
(٣٥) الخرائج: ٢٣٢ وكشف الغمة ٢-١١٢.
(٣٦) جهاد الامام السجاد زين العابدين عليه السلام - للسيد محمد رضا الجلالي- ص٢٠٨.
(٣٧) كشف الغمة ١١٢:٢
(٣٨) حياة الامام زين العابدين عليه السلام - باقر شريف القرشي - الجزء الثاني - ص٣٢٠.
(٣٩) جهاد الامام السجاد زين العابدين عليه السلام - للسيد محمد رضا الجلالي- ص٢ وينقل التاريخ موقف نضالي اخر للإمام السجاد مع الطاغية هشام بن عبد الملك
(٤٠) الخرائج: ٢٤٠

(٤١) المحاسن والمساوي للبيهقي (ص٢١٢-٢١٣)
(٤٢) جهاد الامام السجاد زين العابدين عليه السلام - للسيد محمد رضا الجلالي- ص ٢١٥-٢١٦
(٤٣) حياة الامام زين العابدين عليه السلام - باقر شريف القرشي - ج٢ - ص٣٨١
(٤٤) جهاد الامام السجاد زين العابدين عليه السلام - للسيد محمد رضا الجلالي- ص٢١٧
(٤٥) مناقب ابن شهر اشوب: ٢-٢٤٥
(٤٦) جهاد الامام السجاد زين العابدين عليه السلام - للسيد محمد رضا الجلالي- ص٢١٧- ٢١٩
(٤٧) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص٥١
(٤٨) الحياة الفكرية والسياسية لائمة اهل اليت عليهم السلام - المجلد الأول - رسول جعفريان - ص١٩٦
(٤٩) جهاد الامام السجاد زين العابدين عليه السلام - للسيد محمد رضا الجلالي- ص ٩١- ٩٢
(٥٠) الارشاد: ٢٤٤.
(٥١) جهاد الامام السجاد زين العابدين عليه السلام - للسيد محمد رضا الجلالي- ص٩١- ٩٢
(٥٢) جهاد الامام السجاد زين العابدين عليه السلام - للسيد محمد رضا الجلالي - ص٩٦- ٩٧
(٥٣) تاريخ جرجان - الدعاء ٤٧ - الفقرة ٥٦.
(٥٤) تاريخ جرجان - الدعاء ٤٨ - الفقرة ٩.
(٥٥) الصحيفة السجادية - الدعاء ٣٤ - الفقرة ٥٠
(٥٦) الحياة الفكرية والسياسية لائمة اهل اليت عليهم السلام - المجلد الاول - رسول جعفريان - ص١٩٨
(٥٧) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص٤١ - ٤٢
(٥٨) كلمة الامام زين العابدين عليه السلام - سيد حسن الحسيني الشيرازي - ص٢١
(٥٩) اعلام الهداية - الامام علي بن الحسين عليه السلام - ص١٥٠ - ١٥١
(٦٠) الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - ص٤٦

قائمة المصادر والمراجع

١- اعلام الهداية - الامام علي بن الحسين عليه السلام - ج٦ - الطبعة الاولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م دار الاميرة - بيروت لبنان
٢- الامام علي بن الحسين عليه السلام دراسة تحليلية - مختار الاسدي - الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ، نشر مركز الرسالة - قم
٣- جهاد الامام السجاد عليه السلام - السيد محمد رضا الحسيني الجلالي - الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ، نشر دار الحديث
٤- حياة الامام زين العابدين عليه السلام دراسة وتحليل - باقر شريف القرشي - ج١ ج٢ - الطبعة العاشرة -

١٤٣٥هـ/٢٠١٤ م - دار المعروف - مؤسسة الامام الحسن عليه السلام.

٥- الحياة الفكرية والسياسية لائمة اهل البيت عليهم السلام - رسول جعفريان - المجلد الاول - الطبعة الاولى - ١٤١٤هـ/١٩٩٤م - دار الحق - بيروت - لبنان

٦- سيرة الائمة الاثني عشر - هاشم معروف الحسني - القسم الثاني - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م - منشورات الشريف الرضي - بيروت لبنان

٧- عوامل خلود الثورة الحسينية - الشيخ محمد الهنداوي - الطبعة الاولى - ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، دار الطالب - بيروت لبنان

٨- كلمة الامام زين العابدين عليه السلام - السيد حسن الحسيني الشيرازي- ج٩ - دار العلوم للطباعة والنشر -

٩- لواعج الاشجان في مقتل الامام الحسين عليه السلام- السيد محسن الامين الحسيني العاملي - منشورات مكتبة دار المعارف - النجف الاشرف

١٠- مسند الامام السجاد عليه السلام - الشيخ عزيز الله العطاردي - ج١ - الطبعة الاولى - ١٣٧٩هـ - الناشر عطارد